مجلة مدرسة الإسكندرية

عدد ٧

ضد الذين لا يريدون الإعتراف بأن العذراء القديس هي الثيؤطوكوس (٢)

للقديس كيرلس السكندري

ترجمة: بيشوي بشرى فايز

ضد الذين لا يريدون الاعتراف بأن العذراء القديسة هي الثيؤطوكوس (٢)

للقديس كيرلس السكندري

ترجمة بيشوي بشرى فايز
Bishoyboshra@alexandriaschool.org

الجزء الثاني[1]

التفسير الأرثوذكسي لآيات أساء الهراطقة فهمها

(و) تفسير (١تي ٢: ٥)

«لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس،
الإنسان يسوع المسيح» (١تى٢: ٥)

(١٢) تفسير (١تى٢: ٥)

لكن انظروا، إنهم يقولون، إن الرسول يعترف به بوضوح أنه إنسان، ففي الرسالة إلى تيموثاوس كتب: «الإنسان يسوع المسيح» (١تي٢: ٥). إنهم يقولون هذا لرغبتهم في تشتيت ذهن معظم المؤمنين. لكن إن فحص أحد بتعقُّل آية الرسول، فسوف يرفع صوته ضد عدم تقواهم على أساس هذه الآية الحقيقية. وعلى كل حالٍ، لا يجب أن نقطع فجأة الآية كما يفعلون، إنما لنضع في اعتبارنا قليلاً الآيات التي تسبق هذه الآية، كي نقدر على الفهم الصحيح لاعتراف التدبير الكائن هنا. فماذا قال القديس بولس الطوباوي حقًّا؟ قال: «يوجد إله واحد» بخصوص الآب، وبخصوص الابن قال: «لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس» (١تي٢: ٢٥). فإذا قال إنه صار إنسانًا، فلا يجب لهذا السبب أن نشك في أنه شيئان. لأنه كما أن اللوغوس هو الله قبل المجيء، فهكذا أيضًا في صيرورته إنسانًا ووساطته في الطبيعة البشرية مازال أيضًا

[1] تمت ترجمة الجزء الأول في العدد السابق؛ مدرسة الإسكندريّة، العدد السادس، ص١١-٢١.

واحدًا. ومن أجل هذا قد دُعي الوسيط بين الله والإنسان، لأنه واحد من جوهرين essences اثنين. لأجل هذا وُجِدَ وسيط بين الاثنين (الجوهرين) لأنه بالضرورة يملك كليهما. إنه إذن وسيط الله لأنه مساوٍ للآب في الجوهر، وأيضًا وسيط الإنسان لأنه اشترك في طبيعة بشرية كاملة ولكن بدون خطية. وعندما يدعوه القديس بولس الرسول: «الإنسان يسوع المسيح» فلا يجب عليهم أن يتحيروا بشأن هذا ولكن يجب أن يفهموه بكونه يُدعَى الرب والله وأيضًا المسيح يسوع. دعهم إذن يسمعون الرسول عندما أعلن هذا بوضوح: «ينتظرون الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح الذي بذل نفسه لأجلنا» (تي٢: ١٣ ـ ١٤).

(١٣) (١ تي٢: ٥) في توازن مع (تي٢: ١٣)

هل ترون إذن كيف يدعوه بولس هناك (١تي٢: ٥): «الإنسان يسوع المسيح»، «الذي بذل نفسه لأجلنا»، وكيف يدعوه هنا: «الله العظيم يسوع المسيح» الذي «بذل نفسه لأجلنا»؟ يوجد هنا شاهدان ضدهم، أو بالأحرى لأجلهم لو أرادوا تغيير فكرهم. لأن القديس بولس الرسول يدعو الله والرب يسوع، الذي قد دعاه إنسانًا، وأعلن من خلال كلتا الآيتين أنه بذل نفسه لأجلنا. إنه يقول «الإنسان يسوع المسيح والذي بذل نفسه فدية عن الجميع» (١تي٢: ٥). وأيضًا «منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح الذي بذل نفسه لأجلنا، لكي يفدينا من كل إثم ويُطَهِّر لنفسه شعبًا خاصًّا غيورًا في أعمال حسنة» (تي٢: ١٣ ـ ١٤). إن كان المسيح كما يقولون هو مجرد إنسان قدّم ذاته لأجلنا وجعلنا لنفسه شعبًا خاصًّا، نكون بذلك نعبد إنسانًا، تمامًا مثل الوثنيين وننسب سلطان الربوبية للخليقة. ولكن ليس هذا هو الوضع، حاشا لله.[1]

لأننا نعرف أن المسيح هو الرب والله. هو كلمة الله الذي صار إنسانًا لأجلنا واشترك في طبيعة بشرية وقد وُلِدَ، من محبته التي لا توصف للبشرية بهذه الطبيعة، من القديسة وغير المتزوجة، العذراء. لكن في هذا هو الله بالطبيعة

وابن الله لهذا فهو يدعى الاثنين: الله والإنسان، وهو الواحد نفسه، المسيح في كلتا الإشارتين.

(١٤) (١تي٢: ٥) مع تعليم آخر لبولس الرسول

أما بالنسبة إلى حقيقة أن بولس لم يكرز بأن المسيح مجرد إنسان، كما يؤكد هؤلاء الناس بشكل أسطوري، اسمعوا ما يقوله في الرسالة إلى أهل كورنثوس: «فإننا لسنا نكرز بأنفسنا، بل بالمسيح يسوع ربًّا. ولكن بأنفسنا عبيدًا لكم من أجل يسوع» (٢كو٤: ٥). فهل ترون حدود رأي الرسول؟ يقول بولس إن يسوع المسيح هو رب بينما نحن عبيد. وأيضًا يقول في رسالته إلى أهل رومية: «ومنهم المسيح حسب الجسد، الكائن على الكل إلهًا مباركًا إلى الأبد. آمين.» (رو٩: ٥).

فلو كان يفهم أن المسيح مجرد إنسان، لكان قد قال: «ومنهم المسيح حسب الجسد الذي فيه الله ، الكائن على الكل» (ولكنه لم يقل هذا، بل بالأحرى شهد بصوت عالٍ أن: «المسيحَ إلهٌ كائن على الكل»). علاوة على ذلك دعونا نضع في اعتبارنا أنه لو أن الرسول الإلهي قد شك أن المسيح هو في نفس الوقت الإله والإنسان، لما ذكر هذه الجملة: «حسب الجسد»، لأنها تتكلم بوضوح عن شخص ليس مجرد إنسان فقط، ولكن مَنْ قيل بأنه كان شيئًا آخر في الجوهر، فمن أجل هذا ذَكَرَ القديس بولس العبارة «الذي هو الله الكائن على الكل». لقد سلَّم هنا الاعتراف ثنائي الوجه twofold-confession الخاص بربنا، وأشار إلى أن الذي هو بحسب الجسد، مُعلن أيضًا بكونه الله. تمامًا مثل ملك أرضي لا يتوقف عن كونه ملك ولا يفقد كرامته السابقة لو أراد في وقتٍ معيَّن أن يصير وكيلاً، إنه لا يفقد كرامته السابقة. لكنه واحد ويمتلك كل من المُلْك والوكالة. علاوة على ذلك، إذا دُعِيَ الملك فمن المعروف أنه الذي أخذ صورة وكيل. وأيضًا، إذا دُعِيَ الوكيل، فمن المعروف أن نفس الشخص هو أيضًا ملك. كذلك ربنا يسوع المسيح هو دائمًا ابن الله، كائن بالحقيقة كالله. لكن في هذه الأيام الأخيرة أخذ أيضًا لنفسه الحالة البشرية. هو الواحد والشخص ذاته سواء دُعِيَ الله أو الإنسان أو يسوع.

(ز) تفسير (يو ٨: ٤٠)

«ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني
وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله» (يو ٨: ٤٠).

(١٥) تفسير (يو ٨: ٤٠)

إن كان الأمر هكذا، دعونا إذن نأتي مباشرةً إلى وسط حديثنا شهادات الرب التي يُفهَم منها بجراءة وكأن الإنجيل يعترف أنه مجرد إنسان: «لماذا تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق؟» (يو٨: ٤٠). ولكن إذا أعطى أحد فكره كمحب للحق، لآيات الإنجيل وخصوصًا إلى السياق الذي تكلَّم فيه المخلِّص، فسوف يفهم تمامًا خداعهم وسوف يدعوهم بحق لوّامين وافترائيين، لأن المسيح قال قبل كلمة «إنسان» أمورًا كثيرة تُعلِن أنه الله وابن الله، حتى إن يهود ذلك الزمان على الرغم من عمَى عيون ذهنهم، أرادوا قتله بسبب ما قاله. لكنهم (الهراطقة) صمتوا أمام كل هذه الآيات متمسكين بكلمة «إنسان» وفي هذا يشبهون يهود ذلك الزمان. لأن اليهود ينتظرون المخلص ليُعلِّم، ليس بالحقيقة لرغبتهم في الإيمان والتعليم، إنما لأنهم ينوون وضع أيديهم على شيء يقوله، كما ذكر الإنجيلي. هؤلاء الرجال يقرأون كثيرًا بل بالأكثر يتأملون في الأسفار الإلهية بغرض أن يجدوا اتهامًا ضده، وهو الذي وضع حياته لأجلهم!

(١٦) (يو٨: ٤٠) في توازن مع نصوص أخرى للقديس يوحنا

دعونا بعدئذ نلاحظ ما قاله قبل هذه الآية: «أبي يعمل حتى الآن وأنا أيضًا أعمل» (يو٥: ١٧). إنه يدعو الله أباه الخاص، جاعلاً نفسه مساوٍ لله، خالق نفس الأشياء مثل الآب. «لأن مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن كذلك (مثل الآب)» (يو٥: ١٩). وهو يقول: «لأن الآب... قد أعطى كل الدينونة للابن لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب» (يو٥: ٢٢-٢٣). و«إنه تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون» (يو٥: ٢٥). ولكي لا يرتبك الذين يسمعون الشهادات اللائقة بالله بسبب الجسد، وحتى لا يبدو

كما لو كان إنسانًا تكلم بهذه الكلمات، قال بعد ذلك: «لأنه ابن الإنسان، لا تتعجبوا من هذا. فإنه تأتي ساعة فيها حين يسمع جميع الذين في القبور صوته والسامعون يحيون» (يو٥: ٢٧ ـ ٢٨)، «تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته. فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين فعلوا السيآت إلى قيامة الدينونة» (يو٥: ٢٨ ـ ٢٩). لأنه قال قبل ذلك: «إنه تأتي ساعة وهي الآن والسامعون يحيون»، بخصوص هؤلاء الذين سيقومون في هذا الوقت، وعبارة «جميع الذين في القبور» تشير إلى يوم مجيئه العظيم. ومرّة أخرى يقول: «أنا هو خبز الحياة» (يو٦: ٣٥). لكنهم يهملون هذه الآيات وكأنهم لم يسمعوها أو بالأحرى يتظاهرون عمدًا بالصمم. إنهم منهمكون في هذه الآية: «لكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان كلمكم بالحق»، لكي يشوشوا أذهان معظم المؤمنين. لكن عليهم أن يضعوا في اعتبارهم إن كانوا مستقيمين، أن الذي قال ذلك هو نفسه الذي قال هذه الشهادة أيضًا. إذن فيجب ألا يرتبكوا بسبب هذه الشهادة كما لو كانوا قد نسوا بقية ما قاله. الفريسيون أيضًا يرون أنه إنسان لأنهم لا يحتملون سماعه يتكلم بشهادات تليق باللّه. إنهم يقولون: «أليس هذا هو يسوع بن يوسف الذي نحن عارفون بأبيه وأمه» (يو٦: ٤٢). إنهم يأتون إليه ثانية ويقولون: «من تجعل نفسك؟» (يو٨: ٥٣). وأيضًا يقولون: «ليس لك خمسون سنة بعد. أفرأيت إبراهيم؟» (يو٨: ٥٧). علينا أن نكون مكتفين بما قلناه ولا نبتغي شيئًا أكثر. لأن الذين يفكرون بالحق ويُهَذِّبون أنفسهم بسماع الأسفار الإلهية، سيقولون بإيمان صحيح: لا يوجد شيء غير منطقي بخصوص كونه اللّه والإنسان في وقت واحد، سواء دُعِي أحيانًا اللّه وأحيانًا الإنسان. الإشارة إلى الواحد لا تلغي الآخر على الإطلاق.

(ح) تفسير (١كو ٢: ٨)

«لأن لو عرفوا لما صلبوا رب المجد» (١كو٢: ٨)

(١٧) (١كو٢: ٨) في ضوء مثل الكرْم

بما أنه من الممكن رؤية الأمر من زاوية أخرى، فلا يجب التعليم بأن المسيح مجرد إنسان كما يتخيلون. لو أُدين اليهود بعد أن فعلوا ما اتَّهمهم به المسيح، أعني الآلام المُخلِّصة، لقَتْلِهم إنسانًا، لكان من الممكن أن يعطوا سببًا لما يقولون. ولكن إذا أُدينوا بسبب تجرؤهم على قتل السيد والرب، فمن الواضح أنهم يخلقون لأنفسهم عذرًا فارغًا، لأنهم يفكرون أنه مجرد إنسان على الرغم من قولهم إن اللوغوس يسكن فيه. عندما تحدث المبارك بولس عن هؤلاء الذين صلبوا المسيح دعاهم بوضوح؛ قاتلي الرب: «لأن لو عرفوا لما صلبوا رب المجد» (١كو٢: ٨). والرب نفسه يقول في مثل كرم رب البيت الذي أرسل عبيده للكرامين (مت٢١: ٣٣) وقال «جلدوا بعضًا وقتلوا بعضًا ورجموا بعضًا» (مت٢١: ٣٤) بواسطة الكرَّامين. ثم أرسل لهم الرب ابنه نفسه، فعندما رآه الكرامون قالوا: «هذا هو الوارث هلموا نقتله ونأخذ ميراثه. فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه» (مت ٢١: ٣٨ ـ ٣٩). فلو اعترف الرسول إذن أن المصلوب هو رب المجد والمخلص علَّم بأن الأنبياء كانوا العبيد الذين أُرسَلوا، بينما هو نفسه ابن رب العبيد، فمن يجرؤ القول أنه مجرد إنسان قال «لكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني» وليس بالأحرى اللّه الذي صار إنسانًا؟ من يتكلم بمثل هذا عندما يسمع الأعمال اللائقة باللّه التي سوف تحدث بواسطة ذاك الذي أعُلن كإنسان؟ «إنه تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن اللّه والسامعون يحيون» (يو٥: ٢٥) أو كلامه: «ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسي مجده ليدين الكل بالعدل» (مت٢٥: ٣١). أو «ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء، ابن الإنسان..» (يو٣: ١٣).

(١٨) (١كو٢: ٨) إعلان اللّه الكلمة (اللوغوس) كإنسان بسبب تدبير التجسد

أتسمعون أن اللّه الكلمة "اللوغوس" قد دُعِيَ بوضوح باسم يناسب الإنسان بسبب الإتحاد مع الجسد؟ لأنه من يقدر أن ينزل من السماء؟ لا ترتبكوا عندما

تسمعونه يقول: «ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق» (يو٨: ٤٠). بالأحرى يجب أن تلاحظوا التدبير وتقْبلوا الكلام بوقار، لأن تدبير الاتحاد مُعْلَن أكثر وضوحًا في هذه الأقوال. فلا يجب الإشارة إليه بدون لاهوته الذاتي حتى لو دُعِيَ إنسانًا. لأن من يجرؤ أن يدعوه إنسانًا وهو الذي فعل ما قيل مسبقًا؟ إنني أتكلم بالطبع عن مجيئه الذي سيكون من السماء ودينونته العادلة للكل. داود القديس يرتل: «لك ينبغي التسبيح يا الله في صهيون ولك تُقَدَّم الصلوات في أورشليم» (مز٦٤: ٢ حسب النص)، اسمعوا الصلاة: «إليك يأتي كل جسد» (مز٦٤: ٣). ماذا يعني هذا أيضًا ولكن ماذا تعلَّمنا مما سيفعله ابن الإنسان؟ لأنه يقول إنه: «يجلس على كرسي مجده ويجتمع أمامه جميع الشعوب» (مت٢٥: ٣١، ٣٢). ألا ترون أن داود يقول لله: «إليه يأتي كل جسد»؟ الأمر الذي سيتحقق بوضوح في ابن الإنسان؟

إذن صار الله إنسانًا في الواحد، الذي وُلد من مريم كما أعلنت الأسفار الإلهية بإشارات عديدة. هذه العذراء الجميلة هي أيضًا "ثيؤطوكوس" حتى لو لم يريدوا هذا. لأنه لو كان يسوع المسيح الذي وُلِدَ منها مجرد إنسانًا، فكيف كتب بولس في رسالته لأهل غلاطية: «بولس رسول لا من الناس ولا بإنسان بل بيسوع المسيح» (غل١: ١)؟ فمن الواضح أنه ليس فقط إنسانًا ولكن الله المتأنّس. لهذا دعوا هؤلاء غير المتعلمين لا يرتبكون بسبب هذه الشهادات، بل بالأحرى يتعلمون تدبير السر الإلهي ودعهم أيضًا يعبدون المسيح مع الملائكة. لأن بولس يقول: «وأيضًا متى أدخل البكر إلى العالم يقول ولتسجد له كل ملائكة الله» (عب١: ٦). و«لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض. ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب» (في٢: ١٠، ١١). دعوهم يتذكرون أن يسوع المسيح يُعتَرَف به أنه الرب ودعوهم لا يضطربون عندما يسمعونه يُدعَى إنسانًا بسبب التدبير.

(ط) تفسير (أع ٢: ٢٢)

«يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قِبَل الله» (أع ٢: ٢٢)

(١٩) التفسير الصحيح لـ (أع ٢: ٢٢)

بحسب هذا المعنى، عليهم إدراك الكلام الذي قيل عنه بسبب التدبير، فعلى سبيل المثال، قال بطرس عندما كان يتكلم مع اليهود أن: «يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قِبَل الله» (أع ٢: ٢٢). من اللازم لدارس الكلمات الإلهية أن يأخذ في اعتباره ضرورة التطلع إلى الأشخاص والزمن وسبب كل عبارة. بهذا يمكنه بنعمة الروح القدس أن يضع لكل آية وجهة النظر المطلوبة. لكن بينما اقترحوا هذه الآية للدراسة فدعونا ـ من أجل إدانة تقواهم ـ ننظر ماذا قصد القديس بطرس عندما تكلم بهذه الطريقة؛ أو بالأحرى فلنسأله كي يعلن لنا ما قاده لمخاطبتنا بهذه الطريقة. ماذا ستقول أيها المبارك؟ هل تكرز بالمسيح باعتباره مجرد إنسان وتحثنا على الإيمان به كما لو كنتَ تُعلِّمنا عبادة مخلوق؟ يلوم رسول آخر (بولس) هؤلاء الذين يريدون عبادة المخلوق (رو ١: ٢٥). ولكن كيف أجبت إذن عندما سألك المسيح قائلاً: من يقول الناس إني أنا ابن الإنسان؟ لقد أجبت: «أنت هو المسيح ابن الله الحي» (مت ١٦: ١٥). لأن السؤال هنا كان يخص هؤلاء الذين لا يعرفون بوضوح سر التدبير، كان من الممكن التلميح إلى فكرة أن المسيح يجب التفكُّر فيه على أنه مجرد إنسان. لأن السؤال كان: «من يقول الناس إني أنا ابن الإنسان؟» لكن عندما سمعتَه يُدعى ابن الإنسان، قلتَ (يا بطرس) إنه ابن الله، والآن وبعد أن رأيت قوة الآيات الكثيرة وبعد قيامته وخبرة صعوده إلى السماوات، تقول إنه إنسان؟!

(٢٠) موازنة بين (أع ٢: ٢٢) و(مت ١٦: ١٥)

لا يمكن لأحد التفكير في أن القديس بطرس قال في ذلك الزمان: «أنت هو المسيح ابن الله الحي» في الإشارة إلى إنسان، كما هو الأمر في القديسين، الذين أُشير إليهم كأبناء لله. لأنه لم يقل: «أنت ابن الله» ولكن: «أنت هو الابن الذي لله». إضافة التعريف لكلمة ابن تدل على أن القديس بطرس يعترف بالواحد والابن الوحيد الحقيقي. إذا سُئل القديس بطرس فسوف يرد بالنفي: "لا تفكروا أنني قلتُ مثلكم إن المسيح إنسان؛ لم أقل هذا، بل

بالأحرى ما أحتاج إليه هو أمر عجيب ويفوق أي تخيُّل. ما هو؟ إنه عودة شعب اليهود الذين تشتتوا في كل مكان بسرعة إلينا. إنني أجد هذه فرصة لصيد الناس، لكنني لم أكن قادرًا بوضوح وبطريقة مباشرة أن أُعلن لهم المسيح بكونه الله، لأنهم منذ قليل صلبوه. هذا الحدث كان مهمًّا بالنسبة لهم حتى إنني خبأت بهذه الكلمات المتواضعة وبدعوته يسوع الناصري والمصلوب، خطّاف (صنارة) الكلام كما أفعل مع طُعم السمك حينما أصطاد. قلتُ أن الله أقامه من الموت وأخفيت لاهوته كما تحت غطاء وبإتقان. ذكَّرتهم بكلمات داود، لأنهم سيتقبَّلون أي شيء منه أو بواسطته بدون ارتياب، لقد لجأتُ لقوة الله كي أجعلهم يقبلون رسالة الخلاص تدريجيًّا. وعندما تمَّ هذا ونُخسوا في قلوبهم، أعلنتُ لهم بوضوح أكثر أن المسيح هو الله، بالإشارة إلى المعمودية باسمه وتعليمه القادر أن يهبهم مغفرة خطاياهم".

(٢١) (أع ٢: ٢٢) في موازنة مع (أع ٢: ٢٤، ٢٥) إلخ

انظروا أيضًا إلى حكمة الرسول؛ قال (بطرس): «يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قِبَل الله، بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم» (أع ٢: ٢٢). قال الرسول إنه شُهِد له من قِبَل الله وإن الله عمل هذه الأشياء بواسطته لكي بالإشارة إلى الآب يحثهم على القبول الكلي ليسوع نفسه وأعماله. لأنه (أعني الآب) عمل هذه الأشياء بواسطته. قال بطرس: «آيات صنعها الله بيده». ثم عندما أشار إلى الصليب فيما بعد، أخفى أيضًا القيامة كعمل أتمه الله الآب. هذا أيضًا ذُكِرَ حتى إنه بسبب الآب يمكنهم قبول القيامة أيضًا. لقد قدّم القديس بطرس اللاّهوت إليهم تحت غطاءٍ. لأنه قال لهم أولاً: «الذي أقامه الله ناقضًا أوجاع الموت» وأضاف «إذ لم يكن ممكنًا أن يُمسَك منه» (أع ٢: ٢٤). هذا لا يشير إليه مطلقًا كإنسان، لأنه لو كان إنسانًا لكان ممكنًا أن يُمسَك من الموت.

بعد أن قال بطرس هذا، لجأ بسرعة إلى الشهادات النبوية حتى لا يسمعوا منه بعد، بل بالأحرى من النبي، وبتلك الوسيلة يقبلون الكلام بأكثر سرعة: «لأن داود يقول فيه، كنتُ أرى الرب أمامي في كل حين» (أع ٢: ٢٥). انظروا

كيف قدَّم لهم ببراعة الحديث عن الرب؟ وبعد أن أكمل الدليل كما لو كان يحفظ فكرهم من التشتت، تكلم بوضوح أكثر عن لاهوت المسيح، ثم عاد مرة أخرى إلى الإشارة إلى الآب وقال: «فليعلم يقينًا جميع بيت إسرائيل أن اللّه جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم ربًّا ومسيحًا» (أع ٢: ٣٦). ولما سألوا (الرسل) ماذا نصنع، أمرهم (بطرس) أن يعتمدوا على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا. جاعلاً إياهم يدركون ربوبيته بقوته على غفران الخطايا، باعدًا إنكارهم بالآية السابقة «صنعها اللّه» (أع ٢: ٢٢).

(٢٢) (أع ٢: ٢٢) وتدبير تجسد الكلمة

يبدو لي أنه ما من أحد يفكر باتزان يشك في أن الآب لم يجعل لنا ربًّا حديثًا، لأن هذه الآية لا تشير إلاّ إلى لاهوت الابن كما يظن البعض بغير حكمة. في الحقيقة لم يقصد الرسول بكلامه وجود الابن، بل بالأحرى مجده بعد القيامة. لهذا فإن عبارة «جعله ربًّا» قيلت بدلاً من «أعطاه ربوبية المسيح ومجده». ليس بمعنى أن الابن نال المجد من خارج نفسه، إنما تحدث الرسول هكذا بحسب التدبير المذكور آنفًا. وكأنه يقول: «عليكم أن تؤمنوا به بهذه الطريقة؛ خاضعين له بصفته المسيح والرب».

لم يَصِر يسوع الناصري إنسانًا مثلنا بدون الاتحاد باللوغوس، الذي نزل ليسفك دمه من أجلنا. اسمعوا بوضوح بولس الرسول عندما أعلن هذا لمعلمي أفسس: «احترزوا إذًا لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة اللّه التي اقتناها بدمه» (أع ٢٠: ٢٨). هل سمعتم الرسول وهو يُعلن بوضوح أن المصلوب هو اللّه؟ لأنه قال إن عليهم مثل الرعاة أن يقودوا كنيسة اللّه التي خلصها بدمه الخاص. هذا لا يعني أنه تألم في طبيعة اللاهوت، وإنما آلام الجسد تُنسَب إليه، لأنه ليس جسد إنسان مجرد، بل جسد اللوغوس الخاص. فإن كان الدم يُدعَى دم اللّه، فمن الواضح أنه اللّه الذي احتجب في الجسد.

الجزء الثالث

تعبير ثيؤطوكوس ولاهوت المسيح

(ي) الثيؤطوكوس وربوبية المسيح

(٢٣) ربوبية المسيح في الكتاب المقدس ولقب "ثيؤطوكوس"

إذا أصروا على قولهم: "أين دُعيتْ العذراء ثيؤطوكوس في الكتاب المقدس" ، فدعوهم يسمعون بوضوح إعلان الملاك بهذه الأخبار الطيبة للرعاة قائلاً: «إنه وُلِدَ لكم اليوم في مدينة داود مُخَلِّصٌ هو المسيح الرب» (لو٢: ١١). إنه لم يقل: «سوف يكون الرب» أو «سوف يسكن فيه الرب» لكن «هو الرب». انظروا، إذن الملاك يبشر بوضوح بالأخبار السارة: الذي وُلِدَ هو الرب. ثم أضاف لهم علامة لرؤية الربِّ: «تجدون طفلاً مقمطًا مضجعًا في مذود». (لو٢: ١٢). لقد بشر القديس بطرس كالملاك بنفس الأمور عندما جاء إلى كرنيليوس، قال: «الكلمة Logos التي أرسلها إلى بني إسرائيل يُبشر بالسلام بيسوع المسيح. هذا هو ربُّ الكل» (أع١٠: ٣٦). هل ترون كيف قيل أن اللوغوس قد أُرسل بدل رسالة الخلاص التي ليسوع المسيح؟ وكيف عندما أراد أن يعلن لهم من هو يسوع المسيح قال: «هذا هو ربُّ الكل»؟ هل ترون أن الطفل دُعِيَ الرب من الملاك ومن القديس بطرس؟ لهذا وبدون شك تكون التي ولدت الرب هي "الثيؤطوكوس". وبالمثل خاطبتها أم المعمدان المبارك، الذي تحرَّك بالروح القدس: «امتلأت أليصابات من الروح القدس. وصرخت بصوت عظيم وقالت مباركة أنت في النساء ومباركة هي ثمرة بطنك. فمن أين لي هذا أن تأتي أم ربي إليَّ» (لو١: ٤١ -٤٣). فمن جُنَّ حتى إنه لا يريد أن يدعو القديسة العذراء مع الكتاب المقدس "الثيؤطوكوس"؟ دعوهم إذن لا يزعجون مسمع هؤلاء الأكثر استقامة بالحديث عن صبي وطفل لكي لا يهملوا الحدث كله الخاص بمجيئه تدريجيًّا. إنه دُعِيّ من قِبَل الملاك الطفل والرب.

(٢٤) ربوبية المسيح، الصلب والقيامة

عليهم أيضًا ألا يهمسوا (يُلمِّحوا) بخصوص هذا عن طريق إثارتهم للآلام والقيامة وحقيقة أن الله أقامه. لأن الاستنتاج الذي ينطبق على التدبير، قد تثبَّت بما قلناه سابقًا. فإذا أرادوا مع ذلك أن يتعلموا بوضوح أكثر من هو المصلوب، فدعوهم إذن يسمعون مُعلِّم العالم كله عندما كتب في رسالته إلى الكورنثيين: «لأني تعلَّمتُ من الرب ما سلَّمتكم أيضًا، إن الرب يسوع في الليلة التي أُسْلِمَ فيها، أخذ خبزًا» (١ كو ١١: ٢٣). فهل لاحظتم أن الذي تألم من أجلنا مُعلَن بوضوح أنه الرب؟ أيضًا إن كانت حقيقة أن «الله أقامه من الأموات» تصدم الناس بسبب الكلام عنه كإنسانٍ، فدعوهم يسمعون مرة أخرى نفس الرسول الذي يشتت هذا الهاجس أيضًا. لأن مثل هذه الشهادات موجودة في الأسفار المقدسة لأجل التدبير. فيما يتعلَّق بحقيقة أن الذي تألم وأُقِيم في الجسد هو الرب وليس كما يؤكدون أنه إنسان يسكن فيه اللوغوس، دعوهم يسمعون القديس بولس الرسول الذي كتب بوضوح لأهل رومية بخصوص إبراهيم: «لكن لم يُكتَبْ من أجله وحده أنه حُسِبَ له. بل من أجلنا نحن أيضًا الذين سيُحسَب لنا الذين نؤمن بمن أقام يسوع ربنا من الأموات» (رو ٤: ٢٣، ٢٤). هل تسمعون أن الذي أُقِيم يشار إليه أنه الرب؟ عليكم إذن ألاَّ تسيئوا قط إلى ما قيل بسبب التدبير.

(٢٥) ربوبية المسيح ليست بالنعمة ولكن بالطبيعة لكونه ابن الله

لهذا لا يجب أن يُفَكِّر أحد أنه يُدعَى الله والرب والابن بالنعمة مثلنا. من اللازم حقيقةً إضافة الآتي لما قيل سابقًا. لأنه في حالتنا، بالرغم من أننا نُدعَى آلهة، إلا إننا نسمع مقدار ضعفنا: «أنا قلتُ أنكم آلهة وبني العلي كلكم» ثم أضاف في الحال: «لكن مثل الناس تموتون» (مز ٨٢: ٦، ٧). فهذا يوضح أننا نلنا لقب آلهة بالنعمة. إلا أن الأمر ليس هكذا بالنسبة له، لأن عنده اللقب مع المجد اللائق بالله، إنه لا يُدعَى فقط الله، لكن «الله فوق الكل ومباركًا إلى الأبد» (رو ٩: ٥ حسب النص). بالإضافة إلى ذلك، إنه يُدعَى الرب ليس فقط في الاسم كما في حالتنا، ولكن «رب المجد» و«رب الكل» كما يُعَلِّم

القديس بطرس (أع ١٠: ٣٦). ومن ناحية أخرى عندما يُدعَى ابن، فإن هذا لا يقال بكونه ابن مثلنا فقط، ولكن بكون «الابن الوحيد» الذي بالحقيقة وفي الجوهر هكذا، كما يقول يوحنا: «ونحن في الحق في ابنه يسوع المسيح. هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية» (١يو٥: ٢٠). والقديس بولس الرسول يُشير إليه بأكثر وضوح باعتباره الابن الوحيد والحقيقي في مقابل الأبناء الأُخر الكثيرين: «لأنه إن وُجِدَ ما يُسمَّى آلهة سواء كان في السماء أو على الأرض كما يوجد آلهة كثيرون وأرباب كثيرون» [يقول]: «لكن لنا إله واحد الآب الذي منه جميع الأشياء ونحن له ورب واحد يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء ونحن به» (١ كو ٨: ٥، ٦). فهل رأيتم أنه لم يُدعَ الرب أو اللّه جملةً مع الآخرين، لكنه المُمَجَّد وحده مع الآب لكونه منه بالطبيعة.

(٢٦) شهادات رسولية أخرى على المسيح لكونه ابن الله المتجسد

حان الوقت إذن أن نُحْضِرَ إلى الوسط شهادات أخرى للرسول وهي الشهادة التي تُعلن أن هذا هو اللّه، الإنسان الحقيقي الذي وُلِدَ كإنسان من العذراء الجميلة، كالآتي: «ولما جاء ملء الزمان، أرسل اللّه ابنه مولودًا من امرأة» (غل ٤: ٤). لا يجب أن يتحيَّر أحد من هذا الكلام لأنه لا يُنسِب أية إهانة للكلمة "اللوغوس". لكنه بالأحرى يُعلَن مجد اللوغوس المتسع، غير المحدود والذي لا يُقاس. أما فيما يتعلَّق بحقيقة أن اللوغوس لا يُضَر بهذا على أيّة حال، لأنه لا يُقتَرَب إليه ولا يُقهَر ولا توصف طبيعته، ولأنه جاء إلى هذا الحدث (أي تجسَّد) من حبه للبشر الذي لا يُعَبَّر عنه. اسمعوا أيضًا لبولس الذي يُعلِّم هذا: «يسوع المسيح هو هو أمسًا واليوم وإلى الأبد» (عب ١٣: ٨). عندما يقول «أمسًا» فإنه يعنى مجده الأزلي، وتعبير «اليوم» يشير إلى الزمان الحاضر *Kairos* (الزمن المُحدَّد appointed time)؛ وبعبارة «هو هو... إلى الأبد»، أشار الرسول أنه لم يتغير ولكنه بقى كما هو، حتى وإن صار في الجسد، وسيكون كذلك في الأبد. عندما يكون الأمر هكذا، فمن الواضح إذن أنه أعلن حبه لنا بواسطة عِظم حبّه للبشر philanthropy واشتراكه في طبيعتنا الخاصة لكي يُقيمها ويُحَرِّرها من عبودية الشيطان. فلا يجب أن يخجل أحد عندما يسمع أي شيء

قد كُتِبَ عنه بطريقة بشرية خالصة مثل صبي وطفل. لقد تحمَّل كل شيء من أجلنا وليس من أجل نفسه. لقد احتفظ في كل مكان بما يلائم الطبيعة البشرية حتى لا يُنظَر إلى التدبير باعتباره خيال.

(ك) تدبير التجسد

(٢٧) تدبير الله من أجل خلاص البشرية وناسوت المسيح.

إذا سمعتم إذن أن يوسف المبارك قد أخذه ورحل إلى مصر، فلا تعتبروا هذا نوعًا من العيب، بل افهموا التدبير. لأنه لم يُكتَبْ هذا فقط لأجله، إنما يوجد أيضًا مثل هذه الأشياء مكتوبة. عندما بلغ ثلاثة عشر عامًا وابتدأ يعظ ويُعَلِّم. إنه «لما سمع» ما قيل: «أن يوحنا أُسلِمَ، انصرف إلى الجليل» (مت٤: ١٢). في الحقيقة، يمكننا أن نجد شهادات أخرى ولكننا لا نستطيع التخمين إن كان قد فعل هذا بسبب الخوف سواء الآن أو بعد ذلك، لكن بالأولى إنه كان ينتظر الزمان المناسب لآلامه المُخلِّصة. لقد كان لابد أولاً أن تلمع عظاته وأن يحقق كل ما كان يرغب القيام به، وبعد ذلك يأتي للآلام المخلِّصة. هذا في الحقيقة ما حدث. حتى إن ما حدث لم يكن بسبب الخوف أو الجبن، وهذا واضح ممّا عمل عندما كان لم يُرِد أن يُمسكَ، لما أراد اليهود أن يطرحوه، يقول الكتاب إنه: «جاز في وسطهم ومضى» (لو٤: ٣٠). وفي مناسبة أخرى كانوا يريدون أن يمسكوه لكن الكتاب يقول: «ولم يلقِ أحد يدًا عليه، لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد» (يو٧: ٣٠). مع أنه بكونه الله يقدر أن يُبعد الأيادي عنه، لكنه امتنع عن ذلك من أجل ناسوته، لكي يُظهِرَ بالحق أنه صار إنسانًا حقيقيًّا. ومع ذلك، إن قال أحد لماذا لم يشتت بنفسه المكيدة عندما كان طفلاً بدلاً من الملاك (مكيدة هيرودس)؟ (مت٢: ١٣)، فيجب أن تعلموا أنه هو الذي عمل إنما من خلال الملاك حتى لا يُضعِف مبدأ التدبير بداعي سِنّه (كونه طفلاً).

(٢٨) أوجه أخرى في تدبير تجسُّد المسيح

أما بخصوص حقيقة أنه أكمل كل شيء في طريق التدبير بسبب رغبته في الحفاظ على ما يلائم الجسد ويتيح له إعلان كل انحدار في خطٍ موازٍ للجسد، يُعلِمَك أيضًا الإنجيلي نفسه (القديس متى)، لأنه عندما قال له المعمدان المبارك: «أنا محتاج أن أعتمد منك» أجابه: «اسمح الآن، لأنه هكذا يليق بنا أن نُكَمِّل كل بر» (مت٣: ١٤ ـ١٥). ألا ترون أنه قد تنازل ليعتمد وكذلك في كل ما كان مناسبًا لطريق التدبير؟ لهذا عندما تسمعون بصبي أو طفل وكل ما كُتِبَ عنه بطريق بشريّة، كما سبق وأشير من قبل، يجب ألا تفترضوا أنه كان في أي وقت بدون اللاهوت. على الرغم من أنه دُعِي إنسانًا، لكنه ظهر بكونه الله كما أُعلِنَ في مناسبات كثيرة. في الحقيقة لقد قدَّم المعمدان المبارك شهادات أكثر من التي قيلت لأنه قال بخصوص المسيح: «يأتي بعدي رجل صار قدامي لأنه كان قبلي. وأنا لم أكن أعرفه» (يو١: ٣٠ ـ٣١). كيف قال القديس يوحنا المعمدان إنه قبله وهو يدعوه رجلاً؟ في الحقيقة، في زمن التدبير نجد أن المعمدان المبارك قد وُلِدَ أولاً؛ لأنه عندما بشر الملاك جبرائيل العذراء والدة الإله البشرى السارة بشأن الحبل الطاهر، يقول الإنجيلي إن أليصابات كانت حاملاً في الشهر السادس بالمعمدان. كيف يقول المعمدان إذن أن المسيح هو الأول إذا قورن به هو نفسه، وفي الوقت نفسه يتكلّم عنه كإنسانٍ، إلا إن كان يُفهم بوضوح أن المسيح هو الله المتأنِّس؟ إنه يقول: «يأتي بعدي رجل...» (يو١: ٢٧). كيف يكون قبله ويأتي بعده؟ إن هذا يكون بالنسبة لظهوره ومجيئه ليُعرَف من الناس، لأنه قبل مجيئه ليعظ لم يكن معروفًا للكثيرين بينما كان المعمدان يعظ ويُعَمِّد قبله. وعندما بدأ الرب يعظ ويعمل معجزات أخذ الأولوية من المعمدان وبهذا صار قدامه. هذا هو معنى العبارة: «صار قدامي» اسمع ما قاله تلاميذ يوحنا له: «يا معلم هوذا الذي كان معك في عبر الأردن الذي أنت قد شهدتَ له، هو يعمد والجميع يأتون إليه» (يو٣: ٢٦). هل فهمتم الآن كيف أعلن المعمدان أنه (المسيح) الرجل والأول؟

(٢٩) شهادة المسيح الشخصية على أنه الرب

لو كانوا حتى الآن يؤجلون الاقتناع بالحق، سكارى بجنون هذه الآيات، فدعونا نأتي إلى مركز النقاش: الدليل الذي لم يستطع اليهود أنفسهم الذين يفترضون نفس هذه الافتراضات ويفكرون أنه مجرد إنسان أن يناقضوه. ما هو هذا الدليل إذن؟ الرب نفسه سأل اليهود مرة: «ماذا تظنون في المسيح. ابن من هو» وعندما أجابوا: «ابن داود» قال لهم: «فكيف يدعوه داود بالروح ربًّا قائلاً: قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئًا لقدميك. فإن كان داود يدعوه ربًّا فكيف يكون ابنًا؟» (مت٢٢: ٤٢ ـ٤٥). فهل رأيتم كيف يعلن نفسه بوضوح أنه هو رب داود؟ كيف يكون إذن الذي من نسل داود هو رب داود ويجلس على نفس العرش مع الآب إن لم يكن هو اللّٰه الذي لبس كل ما يخص الطبيعة البشرية؟ لقد أعلن في الحقيقة أن الواحد الذي وُلِدَ من العذراء هو نفسه ابن داود والرب. ومع ذلك، تحيَّر الذين سمعوا هذه الشهادة ولم يوافقوه، كما قال الإنجيلي في الحديث: «فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة. ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يسأله البتة» (مت٢٢: ٤٦).

(٣٠) خاتمة

الحاجة إلى الحفاظ على الإيمان ونبذ الهرطقة

فليحدث الأمر نفسه لهؤلاء الهراطقة أيضًا. لعلهم يتخلَّون بطريقةٍ ما عن جنونهم ويرجعون إلى معرفة كرازة الديانة الحقيقية. أما بالنسبة لنا يا أحبائي: فلنتمسك بهذا الإيمان إلى الأبد، ولنحفظه في الفكر ولنكرز به بوضوح (جهرًا) وبثبات أفواهنا، ولنكن مستعدين أن نتحمَّل من أجله أي شيء برضى. فلأجل هذا تنبأ الأنبياء، كرز الرسل والآباء. إنه كنزنا الحقيقي، الذي من أجله يليق بنا أن نبيع ونخسف كل الأشياء. إذا أراد أحد في أي وقت سرقة هذا الإيمان منا، فسوف نحتقره لكونه عدو المسيح وخلاصنا، لأننا مقتنعين بوصية الرسول: «ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن أناثيما.» (غل ١: ٨).